10

كنترول النجمة (س)

(انطلق نجم هذه الفنانة المميزة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائي الأول، حتى حصلت على لقب يسعد كل فتاة الحصول عليه، وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب،

لن يسعدني أن يتعرف القارئ – بسهولة أو بصعوبة – على بطلة هذا الفصل الذي فضلت أن أشير إليها بحرف واحد فقط على سبيل الرمز. وسبب حرصي على إخفاء اسم صاحبة هذه المغامرة التي دُفعت إليها دفعًا هو جماهيريتها العريضة، وشعبيتها الطاغية، وحالة البهجة التي حققتها لمحبي فنها، ومازالت تحققها بأعمالها التي تحرض مشاهديها على حب الحياة. والحقيقة أن صراعًا داخليًّا عنيفًا شبّ في داخلي قبل أن أكتب هذا الفصل المقتضب، وسبب الصراع هو السؤال الذي حيرني بشدة: هل كل ما نعرف يقال أم لا يقال؟

وقبل ذلك: هل كل ما نعرفه حقائق.. أم أن الكثير منه أكاذيب وأساطير؟

وهل التعرض لمثل هذه المغامرة لنجمة أحزنت مصر كلها عند رحيلها يعد عملاً مشروعًا، أم هو نبش في القبور؟

والحقيقة أنني ارتحت إلى وجهة نظر ترى أن الحقائق – إن كانت كذلك – فيجب أن تُعلن، وهو ما اصطلح على تسميته بحق المعرفة.

هذه واحدة.

وأن حياة المبدعين يجب أن تكون محل دراسة وبحث، فربما أفاد ذلك الباحثين يومًا ما، وتلك واحدة أخرى.

ولكن الذي دفعني في اتجاه بحث هذه الحالة التي أرجو أن تكون وقائعها عكس الحقيقة رغم ذكر هذه الوقائع في تحقيقات ومحاكمات رسمية، فيما عرف بتحقيقات محكمة الثورة، دفعني لذلك أن أتناولها كقصة تجسد الزجّ بالفنان ودفعه دفعًا للاشتراك في لعبة السلطة.. لعبة الكبار.. لعبة الكراسي الخطرة. أعرف أن بعض الفنانين كانوا هم الساعين إلى مصادقة

السلطة، ومن ثم اللعب معها لتحقيق أهداف مختلفة تشترك فيما بينها في (المصلحة)، فالسلطة تريد شعبية الفنان وعلاقاته المتشبعة والأبواب المفتوحة أمامه (بصرف النظر عما تؤدي إليه هذه الأبواب)، ومن ثم تصل إلى ما تحب أن تصل إليه.

أما الفنان الذي يحترق شوقًا إلى سلطة تدعمه، ونفوذ يفرضه، فهو يسعى إلى الدخول في لعبة مثيرة، لعبة تحقق له المتعة حتى لو اقترنت بكثير من التوتر، لعبة تحقق له التفوق على أقرانه، والمرور من الباب الملكي إلى رحابة الشهرة الأوسع والنجومية الأكثر بريقًا ولمعانًا.

وفي الحقيقة، فإن الفنان المغامر يبحث عن (دور) أكثر إثارة، يرسمه له الكبار، ويؤديه هو بتصرف، يستخدم فيه كل إمكاناته الجسدية والعقلية، دور بلا رقابة تحدّ مِن حريته، وبلا سيناريو مؤكد، بل إنه سيناريو يعتمد على الارتجال، يقول فيه ما يريد، ويسمع ما لا يتوقع!!

وفي هذه الحالة التي نرصدها في هذا الفصل من الكتاب دور لفنانة بدأت فطرية، بكر، بسيطة إلى أبعد الحدود، إذا ابتسمتْ لك فكأنها الدنيا تبتسم، وإذا نظرتْ بعينيها الناعستين، فكأنهما هما وردتان تتفتحان مِن أجلك أنت، أما قوامها فرشيق رشاقة غزال شارد اكتشفتها السينما، فاكتشفها الناس منذ أول أدوارها، أحبوها.. رفعوها إلى مصافّ النجمات، بل وصعدت فوق أعلى هرم النجومية.

ولكن يثار أحيانًا اللغط حول حياة بعض النجوم الشخصية، ويقال في ذلك الكثير، ولكن لم يتقدم أحد ليحلل لنا ما الذي يحدث للبراءة حتى يحدث لها هذا التحول.

لم يقل لنا أحد كيف تفسد الأضواء – أحيانًا – من نحبهم؟

ولكن طبعًا سيعود بنا المحللون والمفسرون إلى النشأة والبيئة والظروف الاجتماعية والنفسية.. وأشياء كثيرة ولكن يبقى اللغز قائمًا!

ولكن هذه النجمة ولنرمز لها بالحرف (س) لم يكن في ذهنها المغامرة مع الكبار ولا الدخول في مغامرات المخابرات، ولكن البعض حاولوا دفعها دفعًا لذلك، ورغم أنه قد قيل ما قيل عن تجنيد – أو محاولات تجنيد – عدد من الفنانات في ذلك الوقت، إلا أننا لن نسرف في (الاعتماد) على هذه الروايات، إلا من خلال هذه القصة التي تكشف عن أسلوب ما –

قيل إنه تكرر – في التجنيد والسيطرة على هذه النجمة، لنرى كيف كان رد فعلها، وما هي درجة حماسها للدخول في تلك اللعبة الخطرة.

فقد انطلق نجم هذه الفنانة بسرعة هائلة منذ العمل السينمائي الأول لها حتى حصلت على لقب يسعد كل فتاة الحصول عليه، ويشير إلى رقتها وعذوبتها وجمالها، وأصبحت بالفعل فتاة أحلام الشباب، وساعدها على ذلك شخصيتها المرحة، المنطلقة، المحبة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كادت هذه الابتسامة أن تنطفئ؛ فبعد أن حققت نجوميتها، كانت هناك عين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة.

ولم تكن هذه العين سوى عين صلاح نصر مدير جهاز المخابرات المصرية في ذلك الوقت، وحسب رواية اعتماد خورشيد التي سجلتها في كتاب ممنوع لها، وحسب ما قالته في اعترافاتها في محكمة الثورة، فإن النية كانت تتجه في ذلك الوقت داخل جهاز المخابرات لتوسيع قاعدة مندوبات المخابرات من الوسط الفني، وكانت النجمة الرقيقة (س) من بين المرشحات لهذا الغرض، بينما كان هناك رأي معارض من أحد قادة المخابرات لتجنيد الفنانات باعتبار أن هؤلاء الناس (الفنانين) "كلامهم كثير"!

ولكن انتصر الرأي الأول، وحدد الأمر بالقيام بعملية السيطرة "الكونترول" على النجمة (س) لكي يتم تجنيدها للعمل كمندوبة للمخابرات بحجة أنها أصبحت مشهورة، وأصبحت لها شبكة قوية من العلاقات مع شخصيات مهمة ومرموقة داخل مصر وخارجها!

وعلى الفور تم وضع خطة محكمة لاصطياد النجمة (س) وجذبها إلى السنارة، ولكن بقي فقط البحث عن طُعم يتمتع برائحة نفاذة وطعم مقبول لكي يجذب إليه النجمة، وبالفعل رَشحت إحدى المندوبات وهي راقصة سابقة، رَشحت الممثلة – (ل) كوسيط تستطيع أن تساهم بعملية فرد الشباك وتدفئة المياه لصعود السمكة (س) إلى السطح، وهي تعلم بالطبع أنها ستهوي بها بعد ذلك إلى القاع بعد أن تكون ساهمت في سلب إرادتها!

وتستمر القصة بعد ذلك – ولسنا مضطرين إلى قبولها كاملة – لتروي كيف أن هذه الممثلة قامت بعملية تعارف بين النجمة (س) وبين أحد الأشخاص الذين قدمته لها على أنه سائح فرنسي، ولم يكن هذا السائح سوى مترجم اللغة الفرنسية في جهاز المخابرات، ويقال – حسب هذه الرواية – أنه قدم للنجمة مبلغ (300) جنيه على سبيل الهدية، وبعد ذلك نجح

في اصطحابها إلى مكان آمن في منطقة مصر الجديدة. وطبعًا يمكن استنتاج الخطوة التالية، وهي تصوير النجمة – بدون علمها طبعًا – لاستخدام الشريط في الضغط عليها وإجبارها على العمل كمندوبة للمخابرات، ولكن ما لم يكن متوقعًا بالمرة هو أن يحضر التصوير مدير المخابرات بنفسه – حسب هذه الرواية التي لا نعلم مدى حقيقتها – وأن يضبط بنفسه الكاميرا ليحدد زوايا التصوير وأحجام اللقطات.

ولم يكن صعبًا بعد ذلك أن توقِّع هذه النجمة – وهي في هذه الحالة السيئة والأعصاب المنهارة – على إقرار بتعاونها مع المخابرات كمندوبة، وهو نموذج معدّ سلفًا يوقعه المندوبون، كما وقّعت على كراسة تعرف باسم "P.R.G" ولست أدرى هل هو شيء طريف ما تذكره وقائع تلك القصة من أنه تم استرداد مبلغ الـ"300" جنيه التي أعطاها المترجم للنجمة لتعود إلى خزانة المخابرات؟!

ولكن كان هناك رأي داخل الجهاز يرى أن هذه القسوة التي عوملت بها النجمة لم يكن في صالح العملية، ومن هنا تم استرضاؤها بالذهاب إليها في منزلها وتقديم بعض الهدايا لها على سبيل الاعتذار.

ولكن اللافت للنظر أن النجمة لم ترضخ لهذه الضغوط القاسية، ولم تنفذ بنود الإقرار الذي وقعته على نفسها، بعد أن شعرت بالمهانة والمذلة من طريقة التعامل معها، وهي النجمة التي تلهب المشاعر بإطلالة واحدة منها على الشاشة الفضية، ولم تَخْشَ الشريط الذي سُجِّل لها صوتًا وصورة. وأمام إصرارها وعنادها وعدم رضوخها انتهت علاقتها بالمخابرات، فلم تقبض مكافأة واحدة من مكافآت جهاز المخابرات؛ لأنها ببساطة لم تقم بعملية واحدة لحساب الجهاز، بعد أن تهربت من الردّ على نداءاته، وبعد أن اختفت عن العيون لفترة.

ولكن الصدفة وحدها عادت لتجعل مِن هذه النجمة ذائعة الصيت حديث كل بيت وكل محب لفنها عندما انتهت حياتها بعد ذلك نهاية غامضة بعد نحو أربعة عقود من هذه المغامرة القاسية.

* * *

وساعدها على ذلـك شخـصيتها المرحـة، المنطلقـة، المحبـة للحياة، ساحرة الابتسامة.. حتى كادت هـذه الابتـسامة أن تنطفـئ، فبعـد أن حققـت نجوميتهـا، كانـت هنـاك عـين ترصدها بخلاف عيون جماهيرها المحبة)

11

سعاد حسني والسؤال المحير